

مارك جرجس: سوهري يحرس أصوات العالم

سعيد محمد

لا يسمع كثيرون بالموسيقى مارك جرجس وهذا بالفعل أمر متوقع. فهذا المثقف الطبيعي الأميركي، من أصول عراقية، وإلى جانب احترافه العزف ومشروعه الفني الشخصي في الموسيقى التجريبية، فإنه - عبر عقود عدة - يؤرشف ويروج لأصوات وموسيقى وضجيج لا ترغب المؤسسة الثقافية الأميركية في سماعها، وتفضل قطعاً لو أنها تتلاشى من ذاكرة الرّمان والمكان: بلاد عريقة وجميلة مثل العراق وسوريا وفيتنام بريد الأميركي تصويرها كدول مارة. ولذا، فلا تكاد تجد لجرجس ذكراً في أي من قنوات الإعلام الرأسمالي الكبرى. لكن ذلك تحديداً هو ما يعطيه عزمًا استثنائياً في مواجهة التجهيل المتعمد، وسوء الفهم المتراكم، ومحترفي الكذب الذين لم يعد يرى جرجس فرقاً بين ليبراليهم ويميدهم المتطرف.

ينحدر جرجس من عائلة عراقية هاجر كثير من أفرادها إلى الولايات المتحدة (والده عراقي من بغداد وأمه أميركية من كاليفورنيا) واندمجوا في المجتمعات المحلية فيها مع احتفاظهم ببعض معالم تراثهم، لا سيما الموسيقى وأغاني الأفراح والديكات التقليدية. وهو ما أثار انتباه جرجس الذي نشأ كأي شاب أميركي

يؤرشف للموسيقى لا ترغب المؤسسة الثقافية الأميركية في سماعها

مستهلكاً للموسيقى البوب الغربية بتأثيراتها المختلفة. لقد أدرك سريعاً بحساسيته المفرطة للأصوات بأن تسليع الموسيقى في المنظومة الرأسمالية، كان يحولها إلى منتج قصير العمر تستمتع به لفترات عابرة ثم تمضي.

ترافقت تلك الفترة من حياته مع العدوان الأميركي على العراق في عام 1990 الذي كان بمثابة نقطة تحول مفصلية وصدمة وعي له



وهو يشاهد رأي العين، أي إمبراطورية شريفة هي أميركا، وكيف ينظر الأميركيون ذوو البشرة البيضاء بارتياح استشرافي الذرة إلى من هو أميركي من أصول عراقية أو عربية، ما لم يخلع ثقافته الأصلية بالكامل ويذوي في ظلال مشروع الإمبراطورية.

بدأ جرجس مواجهته الفردية لهيمنة الإمبراطورية من خلال الانطلاق في رحلة للبحث عن أصوات أخرى مختلفة. رحلة تحولت بمرور الأيام إلى ملحمة أسطورية كأنه جلامش عراقي معاصر يطارد الأصوات إلى نهاية العالم ليمنحها الخلود.

زار جرجس سوريا في نهاية التسعينيات وبداية القرن الجديد. هالته أصوات الغناء الشعبي التي تصدح من الإذاعات المحلية وكاسيتات الباعة وإيقاعات الحياة اليومية وضجيج الشوارع في حواضر الشام دمشق وحمص وحلب وحمّة والحسكة ودير الزور، فبدأ يسجل ما يتناهى إليه من أصوات وأغان ويحتفظ بها ويسأل عنها. كانت تلك هي المجموعة الأساسية التي تحولت في ما بعد إلى وثيقة اجتماعية هامة من خلال عمله الأرشيفي «أنا أتذكر سوريا» الذي أصدره

المستقبل والمعجزات لتصبح الكحول المخلص الوحيد. تنقل الأغنيات هذا الجو المنتشر بين الشباب في جوهانسبرغ، فيما تعالج ثيمات معاصرة مثل الجندرية والرجولة وتحمل نقداً اجتماعياً وطبقياً بين 2008 و2010. بدأت ملامح الفرقة تتضح شيئاً فشيئاً. مجموعة شبان عاطلين عن العمل ما كانوا يعلمون ما يفعلونه، ولا يملكون رؤية واحدة لما يريدون الوصول إليه. يقضون وقتهم في التجريب الموسيقي والصوتي وكتابة الكلمات، هم: سيابونغا مثمبو (غناء) ووليزوي مثمبو (غيتار)، وأياندا زليكي (باص)، وسيمفوي تشبالالا (درامز)، ومباليكاييسي مثيروا الذين يشاركون جميعاً أيضاً في الغناء، ويتعاونون مع فنانيين وعازفين محليين. هذا ما حدد ملامح الفرقة من دون التقيد بأي تصنيف مسبق سوى التجريب الذي يشكل التوجه الأكثر وضوحاً لهم. هناك خلفيات كثيرة للفرقة وتأثرات فنية عالمية. استلهمت اسمها من شخصية تدعى



الذين يندفعون كجنود استطلاع يحضرون للاجتياحات القادمة. كان هؤلاء يدفعون بسخاء لاستئجار شقق قليلة النوافذ، ويبنون علاقات مع الشبان المحليين ويجمعون أشكالاً مختلفة من المعلومات. ثم كان ما كان. لم يعد جرجس إلى دمشق منذ اندلاع الأحداث، لكنه يواجه عوائد عمله عن سوريا بالكامل للهلال الأحمر العربي السوري.

جمع جرجس تحت المشروع نفسه أصواتاً وموسيقى وتسجيلات من فيتنام وكمبوديا وماليزيا إلى جانب سوريا والعراق، ولاحقاً من إفريقيا وأميركا اللاتينية، وقدمها في ألبومات حازت اهتمام الأميركيين المنحدرين من تلك البلاد، لكنها لا تصل على نحو كاف في ما يبدو إلى الجمهور الأميركي العادي الذي يبدو مكثفياً من الموسيقى العالمية بمنجات

الموسيقى الإثنوغرافية كما تعلقها وتهدبها وتعيد خلقها صناعة الموسيقى التجارية المعولة في الغرب. خلطة السياسة بالموسيقى عند جرجس هذه تجلّت أكثر ما يكون في مشروعه الفني الشخصي المعروف بـ Porest وهو الاسم الذي قدم من خلاله بداية من Tourrorists (صدر عام 2006) أعمالاً غنائية وموسيقية عدة تتسم بقدرتها على السخرية من قضايا الساعة السياسية وغالباً ما تصيب أوتاراً حساسة ومثيرة للجدل، لا سيما آخرها Modern Journal of Popular Savagery. وهو إلى جانب ذلك، يدير علامة إنتاج تحت اسم «شام بلاس» نجح من خلالها في تقديم الفنان السوري الشعبي عمر سليمان إلى العالمية.

جرجس هذا السوهري النبيل، سيلقي رحاله في بيروت هذا الشهر. لكنه بالتأكيد لن يظلل البقاء، فمهمته كحارس لأصوات العالم ستأخذه إلى مدن أخرى كثيرة، لكنها فرصة لنا لسماع صوته الذاتي ولو على سبيل التغيير.

بورست/ مارك جرجس: السبت 9 كانون الأول - س: 23:00 KED

The Brother Moves: جيك ما بعد الأبرتهيد

Brother Mouzone (الأخ موزون، المشتق من اللغة العربية: الاتزان) في مسلسل The Wire الأميركي (2002 - 2008)، الذي يغوص في المجتمعات الأفرو أميركية، متناولاً موضوعات الفقر والمخدرات والعنصرية وانهايار الطبقة العاملة في أميركا. لعل العنصرية، والظروف القاسية للمجتمعات السوداء في أميركا هي ما قد يدفع شاباً جنوب أفريقياً لأن يلاقوا أنفسهم في شخصية أميركية. تستعين The Brother Moves بالأصوات الأفريقية، والصرخات والمرثيات الدينية التقليدية، واللغات الجنوب أفريقية الزولوية والكوسية إلى جانب الإنكليزية، سعياً إلى إحياء اللغات الأفريقية القديمة التي فقد الجيل الجديد التواصل معها. تضعها ضمن قالب موسيقي يراوح بين الروك وتأثيرات من الفولك والغانك وبعض الإيقاعات الراقصة والسريعة. تشبعت الفرقة أيضاً من التجارب الموسيقية الغنية والمتنوعة في جنوب أفريقيا، وأولها فرقة «بابيتي»، وعازف الترومبيت هيو ماسكيلا، وآخرون ممن لم تنفصل موسيقاهم عن نضال بلادهم، وحملت رسائل سياسية من خلال تعبير مباشر، أو عبر توريات واستعارات بسبب الرقابة على الموسيقيين. تشديد القي بعدد كبير منهم في المنافى خارج البلاد مثل ماسكيلا، والمغنية ميريام ماكيبا التي عاشت في المنفى القسري لفترة طويلة، بعيداً عن بلادها، رغم أنها كانت تؤكد دائماً بأنها تغني الواقع لا السياسة. الفرقة التي انطلقت من داخل حانات وفضاءات مغلقة وصغيرة في جوهانسبرغ، وصلت شهرتها إلى خارج جنوب أفريقيا منذ سنوات. بعدما أقامت جولات عدة في الدول الأوروبية والعالمية، ستحتج TBMO في بيروت عند العاشرة من مساء الأحد 10 كانون الأول (ديسمبر) في KED. إنها فرصة للتعرف على أسلوب وشخص الفرقة التي ستقدم عرضاً أدائياً مكتملاً ومنفرداً، يختلف عن أي عرض سابق أو لاحق للفرقة.

The Brother Moves On: 10 كانون الأول - س: 22:00 KED

روان عز الدين

هناك ثلاث تصنيفات شعبية أساسية للأجيال الحديثة في جنوب أفريقيا من السكان الأصليين. نظام الفصل العنصري هو مقياس هذا التصنيف: أطفال الأبرتهيد، وأطفال مانديلا والأطفال الأحرار. التقسيم نفسه يمكن أن ينطبق على الموسيقى الجنوب أفريقية وفنانها، الذين واجهوا بموسيقاهم هذا النظام في السابق، وأسهموا دون شك

تعالج ثيمات معاصرة مثل الجندرية والرجولة وتحمل نقداً اجتماعياً وطبقياً

في إسقاطه. هكذا سنتتمي فرقة The Brother Moves On إلى الجيل الثاني، جيل مانديلا أو جيل التحول الذي شهد سقوط الأبرتهيد، وأتيح له، ضمن جملة التغييرات، أن يختلط بكافة الأعراف في المدارس، وفي الحياة اليومية، والشوارع. أعضاء الفرقة المولودون في الثمانينات، نجوا من الأبرتهيد، لكنهم لا ينكرونه وقد شهدوا المشكلات الاجتماعية الكثيرة التي استبدلت به. يفضل أعضاء الفرقة إذاً، أن يطلقوا على موسيقاهم تسمية «موسيقى تحولية أو انتقالية» أو «موسيقى ما بعد الأبرتهيد» منخلين بذلك عن أي نمط محدد. لا تسلّم الفرقة نفسها حتى إلى الموسيقى تماماً. إنها ليست فرقة موسيقية، بقدر ما هي مجموعة فنية منفتحة على الفنون الأخرى كالحكاية، والفنون البصرية، والأزياء التي يظنون بها على المسرح، والشخصيات التي يخترعونها وترافقهم في فيديوهاتهم وأغانياتهم، ليصبح عملهم أشبه بمزج للفنون الأدائية بمجملها. إحدى أبرز شخصياتهم هي «مستر غولد» (Mr. Gold) في ألبومهم القصير الأول The Golden Wake عام 2012، الذي أضافوا إليه أغنيات جديدة عام 2015.